رحلات الشرق

_٣_

رحلة إلي القلعة

بقلم

الدكتور إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

٢٠٠٠م

رحلة إلي القلعة

المؤلف والمخرج : د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي

الناشر : مركز الإسكندرية للكتاب

تاريخ النشر : الطبعة الأولى ٢٠٠٠م

الترقيم الدولي :

رقم الإيداع :

رحلة إلي القلعة

الرحلة إلي القلعة رحلة لذيذة وجميلة ومثيرة ومشوقة ٠٠٠

ولكن ٠٠٠ أي قلعة سنذهب إليها ؟

لأن كل بلد به قلعة أو أكثر ٠٠٠

ولأن القلعة قديما كانت بمثابة خط الدفاع الأساسي عن تلك المدينة التي توجد فيها ٠٠٠

القلعة التي سنذهب لزيارتها هي أشهر القلاع على الإطلاق في مصر والشرق كله ، لأنها قلعة تاريخية وواسعة وتعتبر بمثابة إشعاع حضاري كبير في عالم اليوم وأثر من أهم الآثار العالمية ٠٠٠

طبعاً عرفتم يا أصدقائي القلعة التي سنزورها وهي : قلعة صلاح الدين بالقاهرة ، وتُسمى قلعة الجبل ، وقلعة القاهرة ، فهيا معاً لزيارة تلك القلعة الجميلة ٠

قلعة صلاح الدين

قلعة ضخمة مقامة أعلى مدينة القاهرة ، يرجع بناؤها إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي وأتم بنائها عام ١١٧٦م ، واستغرق بناؤها سبع سنوات فقط ، ومازالت تحتفظ بخصائصها المعمارية الرائعة رغم مرور ثمانية قرون على إنشائها ، واختار موقعها بعناية بالغة على موقع مرتفع لكي يحقق الإشراف على القاهرة إشرافاً تاما ٠٠٠ وتولي إقامتها وإنشائها الوزير قراقوش الأسدي ، وهناك حكاية تحكي عن صلاح الدين عندما طلعها ومعه أخوه الملك العادل ، فلما رآها التفت إلي أخيه وقال : يا سيف الدين ، قد بنيت هذه القلعة لأولادك ، فقال : يا خوند ، الله الله لك أنت ولأولادك ، فقال : ما فهمت ما قلت لك ، أنا نجيب ما يأتي لي أولاد نُجباء وأنت غير نجيب ، فأولادك تكون نجباء ، فسكت الملك العادل ٠

وبالفعل كان أول من سكنها الملك العادل وهو أخو وخليفة صلاح الدين الأيوبي ٠

ونجد لوحة تأسيس القلعة على الباب المتدرج في الضلع الغربي من القلعة وتقول هذه اللوحة " بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بإنشاء هذه القلعة الباهرة المجاورة لمحروسة القاهرة ــ بالعزمة التي جمعت نفعاً وتحسينا وسعة من التجأ إلى ظل ملكه وتحصينا ــ مولانا الملك صلاح الدنيا والدين أبو مظفر يوسف بن أيوب محيي دولة أمير المؤمنين في نظر أخيه وولي عهده الملك العادل سيف الدين ، على

يد أمير مملكته ومعين دولته قراقوش بن عبد الله الملكي الناصـــري في سنة تسع وسبعين وخمسمائة "

وتطل القلعة على مدينة القاهرة من الشمال والغرب ، وعلى مدينـــة الفسطاط من الجنوب ، بينما تطل على جبال المقطم من الشرق

ويحيط بالقلعة أسوار وأبراج ضخمة من جميع الجهات ٠

ويتألف التخطيط المعماري للقلعة من مساحتين مستقلتين :

ـ المساحة الشمالية ، وهي الحصن الحربي وهي على شكل شـــبه مستطيل ، ولها أبراج بارزة ٠٠

ـ المساحة الجنوبية ، وهي من القصور والإسطبلات ، وتمتد مـــن الشمال إلى الجنوب ، ورغم إحاطة كل جزء بسور كامل ، إلا أنهمـــا متصلان في جزء مشترك من الأسوار عند باب المتحف الحربي ٠

والجزء الشمالي المكون من الأسوار والأبراج والمنشآت الحربيـــة كان الهدف منه صد هجمات الأعداء التي كانت تفد مـــن الـــشمال ، ويعد هذا الجزء من أهم آثار المعمار الحربي في مصر الإسلامية ٠

ويتراوح سُمك سور القلعة بين ثلاثة أمتار للأسوار المستقيمة و٢٤ متراً في الأبراج المستديرة ، ويصل ارتفاع السور من الداخل إلـــى عشرة أمتار ، أما الأبراج فيصل ارتفاعها إلى عشرين متراً ، ويتخلل هذه الأسوار ممر عرضه ٩٠ سنتيمترا يؤدي إلى غرف ضيقة وبـــه فتحات للتهوية والإضاءة ، وفتحت فيه فتحات للسهام والرماح٠٠٠

وظلت القلعة مقراً للحكم طوال العصور الوسطي وحتى انتقل الحكم إلى قصر عابدين في عهد الخديوي إسماعيل ، ولذلك ظل الاهتمام بها ، فأُصلحت أسوارها وأبراجها وأبوابها ، وشيدت فيها ثكنات عسكرية ومصانع مختلفة ٠

ومن أهم المعالم المعمارية بالقلعة بئر يوسف ، ويقع في الساحة الجنوبية من القلعة ، حيث يبلغ عمق هذه البئر ٨٩ متراً، وتنسب الأساطير الشعبية هذه البئر إلى سيدنا يوسف ٠وأُنشيء بداخل القلعة عدة قصور ومنشآت ومساجد على مرِّ العصور ، منها مسجد محمد بن قلاوون ومسجد السليمانية (سيدي سارية) ، وجامع محمد على وقصر الجوهرة وقصر الحريم سابقا والمتحف الحربي حالياً وأيضاً متحف الشرطة ومتحف المركبات الملكية ٠

مسجد محمد علي

من أهم معالم قلعة الجبل ، ويعد من أجمل المنشآت التي بناها محمد علي باشا والي مصر ، حيث شيده محمد علــي عــام ١٢٤٦هـــ الموافق ١٨٣٠م على الطراز العباسي الذي يستلهم قواعــد الفــن البيزنطي ، ويسمى المسجد المرمري ٠٠

والمسجد على شكل مستطيل ، وينقسم إلى قسمين : القسم الشرقي ، وهو المُعَد للصلاة ، والقسم الغربي وهــو صــحن المــسجد الــذي تتوسطه فسقية وهو محاط من جهاته الأربع بصفوف مــن العقــود يفصلها عن الحائط ممر تعلوه قباب منخفضة ، وبه مجموعة من الصنابير في بناء خاص من الرخام ، وبكل مــن القــسمين بابــان متقابلان أحدهما قبلي والآخر بحري٠

والقسم الشرقي للمسجد مربع الشكل طول ضلعه من الداخل ٤١ متراً تتوسطه قبة مرتفعة قطرها ٢١ متراً ، وارتفاعها ٥٢ متراً ٠وهــي قبة آية في الجمال المعماري وهذه القبة ترتكز على أربع دعامــات يحيط بها من الجهات الأربع أنصاف قباب إلى جانب القبة التي تغطي برواز المحراب ٠

وأقيمت فوق أركان المسجد أربع قباب صغيرة ، وهي رائعة الجمال وأقيم على الحائط المقابل لحائط القبلة مئذنتان رفيعتان على الطراز التركي يبلغ ارتفاعهما ٨٤ متراً من مستوى أرضية الصحن ٠٠٠

ويوجد على الجدار الغربي للمسجد برج الساعة التي أهــداها ملــك فرنسا لويس فيليب إلى محمد علي عام ١٨٤٠م ٠٠

وجدران المسجد من الداخل والخارج وكذلك صحن المسجد مكــسوة بالرخام المرمري ، وبالخطوط والآيات القرآنيــة البالغــة الإتقــان والجملية جدا والمبهرة للغاية ٠٠

وزجاج المسجد من الزجاج المعشق بالرصاص ذي النقوش البديعة التي أتقن الرسامون في رسمها ، ٠٠٠

كما أن منبر المسجد مصنوع من الرخام رائع الجمال٠٠٠

ويوجد داخل المسجد قبر محمد على باشا داخل مقصورة على يمين الداخل إلى المصلى الرئيسي ، وهذا القبر تحفة فنية ومعمارية أخرى داخل المسجد ٠٠

ويمكن مشاهدة كافة أنحاء القاهرة والنيل والأهرامات من صــحن المسجد ٠

قصر الجوهرة

من أهم معالم القلعة ، وأقامه محمد علي عام ١٩١٤م ليكون قصر الحكم ، وتزين جدرانه نقوش شرقية تتمشى مع الطراز العثماني الذي بُني عليه القصر .

وبقصر الجوهرة قاعة رائعة الجمال تُسمى قاعة الساعات ، وهي أجمل ما في القصر ، وقد سُميت بهذا الاسم لأن الفنان الذي قام بتصميمها اتخذ من شكل الساعة زخرفا زين بها جدران القاعة فظهرت بهذا الإبداع الفني المتميز .

وكان محمد على يلتقي بالوفود الرسمية وكبار رجال الدولة في قصر الجوهرة .. حيث كانت تتم مناقشات أمور الحكم في هذا القصر .. وقصر الجوهرة متحف الآن به كنوز من فن وآثار مصر في العصور الحديثة، حيث يجسد نشاط محمد على اليومي في مقر الحكم من قضائه في المظالم واستقباله السفراء .

المتحف الحربي

أقيم بقصر الحرملك ، الذي كان مقرا لأسرة محمد على داخل القلعة ، والمتحف الحربي يمثل العسكرية المصرية وتطورها عبر العصور منذ العصر الفرعوني حتى عام ١٩٧٣ ..

ويتميز مبني المتحف الحربي بالرسوم الرائعة والنقوش المتميزة ، التي تجعل من المبنى مزاراً سياحياً جميلاً ، وأهم مابه بانوراما الحروب المختلفة وأهمها بانوراما حرب أكتوبر الخالدة ، التي تجسدت فيها العسكرية المصرية والعربية..

وقد افتتح المتحف رسميا للجمهور في ٢٠ نوفمبر ١٩٤٩م وتم تطويره وافتتح مرة أخرى عام ١٩٨٢م.

وكان عبد الرحمن زكي أول من أنشأ المتاحف الحربية في مصر خلال الفترة من ١٩٣٧ ــ ١٩٥٢م ، ويضم المتحف مكتبة عسكرية ضخمة بها مخطوطات هامة .

ولذلك ، فالمتحف الحربي يحكي تاريخ مصر الحقيقي ، من خلال لوحات بانوارامية عن أول جيش في العالم وعن انتصارات وحروب الجيش المصري وعن تسليح الجيش المصري وعن أعلام الجيش المصري وعن قادة الجيش المصري وكل شيء عن مصر والجيش المصري .

مساجد القلعة

من أهم مساجد القلعة وآثارها الأخرى :

ـ مسجد الناصر محمد بن قلاوون المملوكي٠

ـ مسجد سليمان باشا الخادم الذي بني مسجداً رائعاً داخل القلعة في العصر العثماني ، وعُرِفَ فيما بعد بمسجد سارية الجبـــل ، وترجـــع أهميته إلى أنه أول المساجد العثمانية في مصر ٠

ـ مسجد أحمد كتخدا ، وهو مسجد صغير خـــصص لجنـــد العـــرب المقيمين بمنطقة الإسطبلات على الممر السلطاني ٠

ـ قصر العدل ، وهو مقر القضاء في عهد محمد على وأولاده ٠

ـ دار المحفوظات ٠

ـ متحف الشرطة ، وهو مقام على أحد القصور التاريخية الموجودة بالقلعة ، وبجواره متحف المركبات الملكية ٠

مذبحة القلعة

ونظراً لاستشراء المماليك في مختلف أنحــاء مــصر ، وتحــاربهم وظلمهم للأهالي ، فقد قام محمد علــى بالحيلــة ، بجمــع قــادتهم وكبراءهم في القلعة بمناسبة أحد الاحتفالات ، ثم أمر بقتلهم جميعــاً لوقاية البلاد من شرورهم ، وبالفعل قتلوا جميعاً داخل أسوار القلعة ، وتفرق أعوانهم ولم تعد لهم سطوة أو نفوذ بعد ذلك ٠٠٠

ورغم قسوة عقاب المماليك ، إلا أن محمد على لم يجد وسيلة أخرى للتخلص من هؤلاء المماليك الذين أفسدوا الحياة في مصر ، وكانوا قد سيطروا على منطقة الصعيد ، وكانوا يجمعون الضرائب الباهظة من الفلاحين والتجار ، واستمروا مئات السنين ، حتى استطاع محمد على في قلب القلعة أن يقتلع جذورهم ويدمرها ، وهذا الأمــر مــن منجزاته أن خلص مصر من هؤلاء المفسدين ٠

وبعد ...

كانت تلك رحلة سريعة في الزمان والمكان ، داخل أكبر القلاع العالمية وأجملها التي مازالت تشهد على براعة البناء في قطع الحجارة وصقلها وتنظيمها ، ومازالت شامخة حتى الآن بعظمة الحضارة المصرية العربية الإسلامية ...